النهضة الاميركية

من مبحث في المجلة الجديدة الفرنسوية

بورتوريكو هي الجزيرة الرابعة من جزائر الارخبيل بمساحتها الصغيرة والاولى بكثرة السكان فان فيها ٨٥ ساكناً في كل كيلومتر مربع على حين لا يبلغ معدل السكان في سائر جزائر الارخبيل ١٨ نسمة في كل كيلومتر مربع (١) وهذه الجزيرة من الخصب والامراع بحيث يجود فيها السكر والتبغ والقهوة وتأتي بغلات وافرة . وهي على خلاف جزيرة كوبا التي لها طرق لا تسلكها الخطا ولا تهتدي اليها القطا . وتفقط بورتوريكو على قطري اسباب الحياة وهي من النموذجات الجزائر ومثال العمران في البلدان اذ لها كثير من الطرق المرصوفة الموصلة بين امهات مدنها كما تجمع السلسلة فرائد العقد

كل هذه الصفات في كوبا وما خصت به من المرافىء الامينة اللائقة لاجراء التمرينات البحرية قد اهابت بمطامع الاميركان ان يستولوا عليها ويطردوا منها الاسبانيين وحجتهم ان ثمانية اعشار مقابضات الجزيرة وتجارتها هي مع الولايات المتحدة . ولما غلبت اسبانيا سنة ١٨٩٨ كان من نتائج معاهدة باريز ان ضمنت للولايات المتحدة الاخذ بخنق تلك الجزيرة الغناء ولم يتسطع عنزان في استيلائها عليها لانه لم يكن في سكانها من يطالب بالحرية والاستقلال بل قد انصرفوا جملة الى الاعمال الزراعية وتخلوا عما وراء ذلك من مطالب الحياة الاجتماعية فراحت الولايات المتحدة تنظمها بنظامها وتؤدبها بآدابها اكثر من تنظيم جزائر الفيليبين حيث كان سكان هذه يقاومون لنيل الاستقلال النوعي فتحول هذه المطالبة دون اجراء ما تريد اميركا عمله في هذه الجزر . وظهرت في كوبا قوة اميركا الاستعمارية وابداعها في طريقة الفتح والاغتناء وقد منحتها بعد شيئاً من الحكم حفظت فيه حقوقها فكانت كما قالت جريدة الطان الباريزية « اشبه بآثينة ايام مجدتها البحرية الاولى في القرن الخامس او رومية بفتوحاتها — نواة من الحرية يحيط بها موكب من الرعايا والعبيد »

وسنة ١٩٠٣ ثار سكان بزرخ بانامة مطالبين بالاستقلال فان الثلاث والخمسين ثورة وفتنة ومذبحة التي حدثت في البلاد منذ سبع وخمسين سنة كانت دون تلك الثورة باهميتها في نظر العالم فساعدتها الولايات المتحدة في الانفصال عن كولمبيا . وقد عني رئيس الجمهورية بامر هذا الاستقلال ليبني لامته ان تشيد برزخاً يجمع بين البحرين المحيطين وتكون

(١) سكان بورتوريكو ثمانمئة الف وسكان كوبا مليون وخمسمائة وثلاثون الفاً .

فيه صاحبة النفوذ الاول فابانت الولايات المتحدة هذه المرة بانها تدوس الحق باقدامها اذا كان فيه استفاط نفوذها. ومن القى رائد الطرف في احوال الولايات المتحدة في القرن الماضي لا يعتم ان يسجل بان هذه الحكومة سارت كل هذه المدة ولم تفشل لها راية ولم تسقط لها كلمة بل كانت بفضل المحافظة على مبدإ مونرو صاحبة الراية العليا والكلمة الفاصلة من الارجنتين الى البرازيل وشيلي ومن بيرو الى كولمبيا وفنزويلا ومن سان دومينيك الى المكسيك مارة بكوبا فتداخلت في شؤون تلك الحكومات كافة مباشرة او بالواسطة وارادتها على العمل بارادتها حتى حق ان يقال انه لم تطر ذبابة لم تشعر بها حكومة واشنطون في انحاء تلك القارة .

ولقد هدد المانيا القائد ديوي احد رجال الولايات المتحدة بالحرب لان بعض سفنها قامت بتمرينات في جزيرة مارغريتا على شاطئ فنزويلا سنة ١٩٠١ وكان املها ان تقيم لها فيها محطة للفحم وزاد في استياء الولايات المتحدة مهاجرة ربع مليون من الجنس التوتوني الجرماني الى جنوبي بلاد برازيل . وقد كادت الحرب تنشب بين انكلترا واميركا على مسائل فنزويلا ثم انحل الاشكال صلحاً بعد ان توعد رجال اميركا انكلترا بانفصال كندا عن نفوذها اذا هي ظلت على عنادها كما سقطت اسبانيا وهي العدوة القديمة لاميركا من حالة مجدها واضطرت الى الاذعان للقوة. اما روسيا فتخلت عن آخر ما لها في تلك القارة الاميركية لقاء بضعة ملايين من الدولارات وقد اقترح على فرانسا ان تتخلى عن جزائر المارتينيك والكوادولوب وتبيعها بيع الرضى لا بيع غبن. اما انكلترا والمانيا وايطاليا فقد عاد لمن بعض نفوذهن في فنزويلا . وهكذا تجد القارة الاميركية وفيها نحو عشرين امة صغيرة كلها طوع امر الولايات المتحدة . فقد كانت المكسيك ولا تزال تحمي تبعاً مونرو وأخذت منها التكساس . وكندا مؤتلفة مع الاميركان وهؤلاء يركنون اليها . وبورتوريكو اضيفت اليهم وانتيل الدانيرك وسان دومينيك كادا يباعان لها وكوبا اصبحت اميركية وباناما وكولمبيا وفنزويلا وكل اواسط اميركا لا تعمل الا بالروح التي تبعثها فيها دار ندوة واشنطون . وقد سكتت برازيل في مسألة آكر المهمة وشيلي والارجنتين وبيرو وجمهورية خط الاستواء يعترفن بمبداء مونرو على درجات مختلفة .

ولطالما ادى الحسد الى التأصل بين برازيل والارجنتين وشيلي الى اعراق الدماء ولذلك كان بعضهم يقول ان النهضة الاميركية غير ثابتة الاساس والخطر محيق بها وان نتائج تلك النهضة مجهولة وان الحوادث اثبتت ان الولايات المتحدة لم تنظر في كل احوالها الا لمصلحتها الخاصة وان نهضتها قامت بالقوة والحرب ومع هذا فلا يخطر ببال ان اميركا تود ان تضم

البنا العالم الجديد برمته بل تريد المحافظة على الحالة الحاضرة عاملة في كل شؤونها تبداء موزو الشريف المبني على قاعدة فسيولوجية

ومن نتائج هذه النهضة ان رقيت الولايات المتحدة ارقى درجات العمران فكانت صادراتها سنة ١٨٧١ خمسمائة مليون فرنك فبلغت سنة ١٩٠٠ — ٢٣٠٠ مليون هذا مع ان جانباً كبيراً من غلاتها يصرف في البلاد. وكانت معاملها سنة ١٩٠٠ — ٤١٥ر٠٤٩ معملاً تصنع ما قيمته ٦٥ ملياراً من المصنوعات. وللولايات المتحدة المقام الاول بحاصلاتها الزراعية فانها بلغت خمسة عشر ملياراً ونصف مليار من الفرنكات. وتحتاج اوربا مسانهة الى ٤٨٠ مليون هكتولتر من الحنطة تستغني اكثرها وتبقى محتاجة الى ١٣٤ مليون من الخارج تقدم اميركا منها من ٢٥ الى ٦٠ مليون هكتولتر بعد ان تقوم غلات البلاد بحاجات سكانها. وقد زاد عدد سكان المدن الكبرى على نسبة غريبة فكان سكان فرنسيسكو سنة ١٨٥٠ — ٨٠٠ر٣٤ فبلغوا في ايامنا ٣٥٠ر٠٠٠ وكان سكان بنتيمور ١٦٩ الفاً فصاروا ٦٢٥ الفاً وسكان فلادلفيا ٣٤٠ الفاً فبلغوا مليوناً وربع مليون. وزادت نفوس شيكاغو من ٢٩٩٦٣ الى ١٫٨٠٠٫٠٠٠

وكان لهذا الارتقاء الاقتصادي الذي لم يسمع بمثله يدٌ كبرى لاصحاب المليارات من رجال الاموال والغنى الواسع في تلك البلاد ممن اوجدوا فيها ضرباً من ضروب الملك في الاعمال والاموال الا وهم قادة الاحتكار من التجار مثل كارنجي وفندربلت ومورغان فكانوا ملوك الارض حقاً وقياصرة الناس بلا مراء من اجل هذا لما رحل مورغان الى جزيرة كوبا عنيت الحكومة باسر الطرق التي مرَّ قطاره الخاص فيها عناية فائقة وقد قابله امبراطور المانيا احسن مقابلة وخافت بورصة مدينة نيويورك وازعجت لزكام دماغي طفيف اصابه عرضاً منذ بضع سنين.

ضاقت اميركا بما رحبت بهؤلاء الاغنياء فلم يجدوا لاموالهم مصارف في بلادهم حتى قام في افكارهم ان يبعثوا البعوث من مواليهم وخدامهم يلتمسون في عرض البحور والبرور مناهل يردونها وخزائن يوزعون فيها كنوز اموالهم. وانت ترى بهذا ان النهضة الاميركية كالنهضة الانكليزية قائمة على اساس اقتصادي مغموس بحب المصلحة حتى قال احدهم: ان سياسة التوسع الاميركيه ليست في الحقيقة الا مثالاً من امثلة الانانية المتوحشة التي تمليها المطامع والآمال المستحكمة في عقول شعب وجه جميع قواه الحية نحو تنمية الثروة والعروض المادية احسن تنمية والاخذ بضبع الراحة والتبسط في متاحي الرفاهية والسعادة

ومعلوم ان التجارة تابعة للعلم فحيثما خفق علم دولة تحسن تجارة ابنائها. والروح الاميركية معجونة بانكبرياء طامعة بالغلبة والاستيلاء مضبوعة على الخلاسة والادلال بالقوة التي تنبهت

وسلكت مسلكها الطبيعي العادي بفضل مبدإ مونرو . قال الفيلسوف اميرسون الاميركاني ان الروح العامة حاضرة في كل شيء لا تعمل فيه الا للخير والحسن ويكفي ان يقوم كل منا بما قدم الصدق بما خلق له حتى تسود الامة في العالم . وقد اتخذ هذا الحكيم المرء صورة رمزية واكد عليه ان يعتقد بفكره ويثق بقوته ويعجب بنفسه . وهذه هي القاعدة المطردة التي انصبغ بها ابناء الاميركان وطبعوا نفوسهم عليها . ولذا اصبح كل تغلب عند الاميركان جهاداً مقدساً كما كان قديماً عند المسلمين ونفذت النهضة في عظم الامة وجبل عليها لحمها .

زادت حركة الافكار في العالم اواخر القرن التاسع عشر فانشأت الامم تجتهد في اظهار ملكاتها وما انطوت عليه من الرغبات والآراء . ويقال انهم يحاذرن ارتباطاً هائلاً ينبغي لكل منها ان تتوقاه . فكانت نتيجة ذلك عند الامم القوية اتخاذ سياسة عدائية في توطيد السلطة ونشر الكلمة وهذا هو معنى النهضة التي تجد اثراً من آثارها في روسيا والمانيا وتراها على اشدها في انكلترا والولايات المتحدة اما الامم الضعيفة فكانت النتيجة عندها ان دافعت عن حوزتها بحد المرهفات ووقفت ابداً على رد الغارات والهجمات وهذه هي الوطنية . فايطاليا وفرنسا خصوصاً قد احسنتا بهذا النفوذ والمبداء الذي جمعت فيه الولايات المتحدة بين الهجوم والدفاع وعاشت في ظله طامحة ان تجمع في البيت الابيض (قصر رئيس جمهوريتها) زمام حكم العالم على نحو ما كانت رومية قديماً تجمع في قصر قياصرتها . فمبدأ مونرو القائل اميركا للاميركيين بل اميركا لسكان الشمال من اهلها فصح والامر على ماذكر ان نقول بعده « العالم للولايات المتحدة » كلمة رددتها صحفهم في الحرب الاسبانية منذ بضع سنين وجهروا بان نابوليون على ما اشتهر عنه من القوة والمضاء قد جبن عن اكتساح اميركا وادارة دفة مطامعه نحوها . ومن العبث ان يقال ان امة ولو كان زعيمها قيصراً او الاسكندر تفتح العالم اليوم بعد ان بلغ الثمانية او العشرة شعوب في الارض ما بلغوه من التمدن والتبسط في مناحي الارتقاء وان ينقسم العالم كما كان على عهد الرومانيين الى ولايات وقنصليات . ولو وقف الامر عند هذه الحال لكان الخطر على العالم قليلاً من النهضة الاميركية لكن الولايات المتحدة لا تقنع عند مسيس الحاجة ان تطيل يد التعدي على خصيماتها من الامم وتستلب منها ما تريده من موانيء ومراقب وقلاع ترصد بها طرق تجارة العالم . واخذها مانيلا هو اول خطوة في هذا السبيل الطويل .

اما فتح انكلترا على هذا النحو جبل طارق ومالطة والسويس وكلكتا وملبورن وراس الرجاء الصالح ؟ اما اميركا فتطمح الى ان تجعل لها مقاماً في شؤون سياسة العالم لاعتقادها بعلو كعبها وفضل تقدمها على نحو ما فعلت انما قديماً في اوربا وكما كان شأن فرنسا عندما

نجحت سياسة ريشيليو ومازارين . وبعد ان صرح الرئيس روزفلت عام ١٩٠٣ بان للولايات المتحدة حق التقدم الاقتصادي على البحر المحيط ومنه على العالم عاد يقول في السنة التالية من الخطاء ان يعتقد معتقد بان امته ظامئة الى الفتح والاستعمار فانه مامن أمة تحتشى بأس الولايات المتحدة اذا حافظت على الراحة وقامت بوظائفها وابانت انها تحسن العمل في المواد السياسية والصناعية ولكن سوء الاستعمال البربري الدائم والضعف الناتج من التراخي في عامة صلات مجمع متمدن هو مما يؤدي الى تداخل امة متمدنة . قال هذا وهو الدليل على ما تكنه صدور تلك الامة من المرامي البعيدة . وتداخل اميركا في شؤون يهود رومانيا ونصارى ارمينية ويهود كيشنيف بحجة الانسانية اثر من آثار التجارب الاولى التي تريد القيام بها لتجس نبض العالم وتقدر مبلغ قوتها . وهذا تحين للفرص ماجرى مثله لالمانيا القديمة والنمسا واسبانيا وفرنسا ايام العزة والقوة .

جرت انكلترا على حرية المقايضة في التجارة فكان لها التقدم في اسواق التجارة في العالم اما فرنسا فقد مشت على طريقة التعريفتين في نقاضي النكوس والجمارك منذ سنة ١٨٩٢ وفي تلك السنة مشت المانيا على طريقة حماية التجارة على نسق اشد من نسق فرنسا وسنة ١٨٩٩ رفعت ايطاليا تعرفة جمارکها وسنة ١٨٩٩ عملت اسبانيا كذلك وسنة ١٨٩٨ قامت بمثل ذلك نروج وروسيا وفعلت السويد مثل هذا الفعل سنة ١٨٩٢ والبلجيك سنة ١٩٠٠ وبرازيل والمكسيك وكندا سنة ١٨٩٧ والارجنتين واليابان سنة ١٨٩٩ والهند الانكليزية سنة ١٨٩٦ . وكذلك كان شأن انكلترا فانها اخفت مقاصدها من حماية تجارتها بحجة تقاضي رسوم اميرية من الجمعة والخمور . اما الولايات المتحدة فانها تتطلب كسائر الشعوب بل اكثر من كل الشعوب امتداد سلطتها مع حماية تجارتها والحماية فيها ابدا على امتنها بفضل مبداء مونرو حتى فاقت في هذه الطريقة امم العالم قاطبة . «الباقي للآتي»

جوائز نوبل

يردد كل سنة اسم نوبل في الصحف ولعل كثيراً من القراء لا يعرفون من هو وما هي جوائزه . فنوبل رجل اسوجي عظيم من اهل القرن الماضي خدم الانسانية في حياته وبعد مماته اجل خدمة يدونها له التاريخ ولم يكن من كبار العلماء ولكنه كان من كبار العاملين والمخترعين من ارباب الصنائع . هو الفرد نوبل الكيمياوي ولد في استوكهلم عاصمة السويد سنة ١٨٣٣ ومات سنة ١٨٩٦ . ذهب مع والده وكان مفتشاً على بلاد الروس لاقامة معمل للنسافات